

خازندار الأسد الذي يكافح من أجل النجاة

رامي مخلوف

يعيد الصراع في سوريا إلى طبيعته



● كثير من العارفين بالمشهد السوري يرون أن صعود مخلوف رجل الأعمال الشاب تزامن مع اشتداد عود الرئيس الشاب. وفي الوقت الذي كان نفوذ الأول يتعاظم مكتسحا الاستثمارات والشركات العاملة في سوريا، كان الثاني يذلل له العقبان.



● مخلوف يتحدث بالإشارة، عن شيء ما حصل منتصف العام الماضي، بعده بدأ ما سماه بالانهيار. والواقع أن ما حدث كان بداية استهداف الأسد وفريق زوجته أسماء لمخلوف عبر الحجز على شركة "بتروليوم سيرفيسز".

إبراهيم الجبين
كاتب سوري

لم تبدأ قصة رامي مخلوف ابن خال رئيس النظام السوري بشار الأسد، التي تتشغل الجميع اليوم، عند بدءه لمقاطع فيديو يشكو فيها من اضطهاد يتعرض له على يد من سماهم بـ"الطاقم المحيط بالرئيس" والذين ينوون الإطاحة به من عرشه الاقتصادي الذي تربح عليه طيلة حكم الأسد الابن، لاسيما في رئاسته لإدارة شركة "سيريتل" للاتصالات. غير أن مخلوف، ودون أن يقصد، منذ إعادة الصراع الدائر في سوريا قام بتسعة أعوام إلى طبيعته الأولى، بعيداً عن الحروب الدينية والفتوحات التي رفع شعاراتها الإسلاميون والفتوحات الإيرانية المضادة الطاحنة بين سنة وشيعة.

تلك حكاية تعود إلى خمسينيات القرن العشرين، حين قرر حافظ الأسد الرئيس السوري السابق، الارتباط بعمة رامي، ابنة واحدة من الأسر المرموقة في منطقة الساحل السوري، عرفت بقربها من الحزب القومي السوري الاجتماعي.

بين صفتين

مخلوف يمثل ظاهرة واسعة الانتشار، يمكن رؤية امتداداتها في العديد من عواصم العالم، فأمواله تنتشر من خلال شركاته وبشركات أخرى يمولها ويملكها آخرون، حتى روسيا التي يشكك البعض في موقفها منه، جدد استثماراته فيها السنة الماضية وفقاً لصحيفة «فايننشال تايمز»

أمن النظام

كانت أول ردة فعل سياسية فوق عادية لنظام الأسد، بعد انفلات الأمور، تصريح شهير لمخلوف في مثل هذا الشهر قبل تسع سنوات، أدلى به لصحيفة "نيويورك تايمز" الأميركية قال فيه ملوحاً إنه "إن يكون هناك استقرار في إسرائيل، إذا لم يكن هناك استقرار في سوريا"، مؤكداً أن النظام سيقاقل حتى النهاية ولن يستسلم بسهولة. وموضحاً ما يدور في ذهن النظام قبل حوثة، وقبل ظهور أي مقاتل لا جهادي ولا غير جهادي، عبر قوله إن "السلفيين هم البديل عن النظام".

ويبدو أن من عرف ساعة البداية يدرك متى ستكون ساعة النهاية لهذه الحرب العنيفة غير المريرة التي تدور في بلد



كان يمكن إصلاحه فيما لو استمع رئيس النظام فيه لنصائح طالبته أولاً بالتخلي عن رامي مخلوف ذاته. أمن النظام تعرض بدوره لسلسلة من التقشير، أزاحت عنه الدروع التي كانت تحميه، حتى بعد أن لجأ إلى الإيرانيين الذين يعاونون اليوم بسبب العقوبات وطول الحروب التي شنتها في المنطقة العربية، وإلى الروس الذين أخذوا يتملقون من حرب لا هدف لها. قد يدفعون فيها أكثر مما كسبوا بكثير. وكل ذلك كان يمكن أن تجري معالجته، إذا ما قرر الأسد ومن حوله مواصلة سياسة تدوير المشكلات وإعادة إنتاجها، لولا أن الصعد هذه المرة طال الحلقة الضيقة ذاتها. فضرب رامي مخلوف سيعني ضرباً للأسد ذاته، ولا يهم من هو الطرف الذي يوجه الضربات، سواء كان زوجة الأسد أسماء الأخرس وفريقها وأقاربها، أو الروس أو الإيرانيين أنفسهم. لأن النتيجة ستضعف الأسد وحده.

خطب رامي مخلوف

يراهن رجل الأعمال الذي كان يهيمن على ثلاثة أرباع الاقتصاد السوري، عبر خطابه المستند المطعم بالآيات القرآنية والنوايا الطيبة على استدراج جمهوره اشتغل عليه بحكم وظيفته كواجبة للأسد، هو

وقبل أقل من ثمان وأربعين ساعة، بدأت حرب من نوع آخر أعلنتها وسائل الإعلام الإيرانية، هدفها مخلوف ومشاريعه وجمعياته. فقد انتقدت قناة "العالم" مخلوف، ووصفته بـ"المعي" واستتكرت أعماله الخيرية بالقول إنه "يتصدق على السوريين من جيوبهم"، بعد إعلانه مع نهاية شهر رمضان عن تحويل مبلغ مليار ونصف مليار ليرة إلى "جمعية البستان" لتوزيعها على المحتاجين. ونقلت القناة الإيرانية عن مصدر خاص زودها بالمعلومات من داخل "جمعية البستان" قوله إن "مخلوف يسعى ومن خلال استغلال اسم الجمعية لدس السم في العسل واستمالة شريحة واسعة من الشارع السوري، وأنه على ما يبدو محشور في الزاوية".

ومنذ أن بدأ النزاع ما بين مخلوف وخصومه، أخذت تتفكك من حوله دوائر لم يكن يتوقع أحد أن تكون وجوهها من المغضوب عليهم ذات يوم، وكانت نزوتها تبرؤ شقيقه إيهاب مخلوف

منه وإعلانه ولاءه التام للأسد ليبدو أن أمن "أسرة النظام" هو اليوم في أسوأ أحواله ما بين تقارب وتباعد في المواقف التي تسبب بها وضع مخلوف الجديد. يتحدث مخلوف بالإشارة، عن شيء ما حصل منتصف العام الماضي، بعده بدأ ما سماه بالانهيار. وما حدث حقاً في الواقع، كان بداية استهداف الأسد لمخلوف، عبر الحجز على

إيران تشن في هذه الأيام حرباً من نوع آخر عبر وسائل الإعلام التابعة لها، هدفها مخلوف ومشاريعه وجمعياته، كما تفعل قناة «العالم» التي تصفه بـ«المدعي الذي يتصدق على السوريين من جيوبهم»

جمهورية داخل الطائفة العلوية ذاتها، والتي ما زالت تكن لآسرتة الاحترام والتقدير لأسباب عشائرية دعمتها والتقدمات المالية والحصص التي وزعها على غالبية أفرادها من بسطانتهم إلى كبارهم.

يحاول إرسال برقيات عديدة من خلال ظهوره البصري بتلك الطريقة، ليقول إن إحراقه سيعني إحراق النظام، وحين لم ينفعه ذلك في وقف الإجراءات المتخذة ضده تحدث صراحة عن انهيار ما لا يعلم إلا الله أين سيكون، صحيح أن الأسد لم يستجب لنداءاته، إلا أن مخلوف لا يبالغ في تقدير حجمه ضمن بنية النظام، فهو ليس غازي كنعان الذي لا يتجاوز سقف الضابط المأمور، ولا محمود الزعبي رئيس الوزراء الأسبق الذي كاد يمزق ثيابه بكاء في جنازة باسل بكر الأسد الأب ومعروفة حدود قدرته على التمرد.

مخلوف يمثل ظاهرة واسعة يمكن رؤية آثارها في العديد من عواصم العالم، فأمواله تنتشر من خلال شركاته وشركات أخرى يمولها ويملكها آخرون، حتى روسيا التي يشكك البعض في موقفها من مخلوف، قام بالاستثمار فيها في الماضي، وجدد استثماراته السنة الماضية وفقاً لصحيفة "فايننشال تايمز" التي تحدثت عن أملاك جديدة لمخلوف وسط موسكو، عبر شراء أكثر من عشرين شقة سكنية بقيمة أربعين مليون دولار.

لكن الروس يعلمون أن هذا المبلغ لا يشكل سوى بعض "الفكة" في جيب مخلوف الذي تصل أرصده وحساباته إلى بنما وغيرها والعديد من الملاذات الآمنة متعددة الجنسية. وكل ذلك يجعل من ثمن رأسه أعلى بكثير مما يتصور البعض، ميزة تجعل المحافظة عليه حياً أهم بكثير من التخلص منه على طريقة الزعبي وكنعان وغيرهما. وهذا أهم ما في حطب مخلوف الذي يعرضه لمتابعيه عبر مقاطع الفيديو التي ينشرها على صفحته على فيسبوك.

